وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
هدى للناس
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

مصاعد الترقي الحضاري من خلال هدايات آية قرآنية

﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴾ [سورة طه: ٤٢]

اسم الباحث/ـة

د/ نورالدين أقجضاض

وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
هدى الناس
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي ميز الرسول بأفضل المناقب، ورفعه إلى أعلى المراتب، وأشهد أن لا إله إلا الله رب المشارق والمغارب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ذوي السير العجائب. وبعد؛ فمن أكمل غايات الاشتغال بالقرآن، وأحظى أوجه الوصل بكلام الرحمن، وأسد عرى التمثل بأحكام كتاب المنان: التوثق بمعرفة معاقد قيام الحضارة الإسلامية التي تتحقق من خلالها وظيفة الاستخلاف، والتبصّرُ بمسالك تذليل وتعبيد نُظم الحياة العامة توطئةً للتّمكين لغاية الخلق والإيجاد.

إن قضية الإنسان من أعظم مرتكزات التناول القرآني من جهة الاشتغال والعناية؛ لذا امتدت رعايته من بدء الخلق إلى الاستخلاف، عروجا على مقومات نهضته على المستوى الذاتي والجماعي؛ فتعددت مباني الإيراد القرآني وتناثرت، وتنوعت حوامل التأسيس وتباينت؛ وأحاطت آية بذلك واستوعبت؛ طلبا للاهتداء بهداياته المفضية إلى قيام الحضارة الإسلامية على أمتن الأسس وأصلبها. وهذه ورقة لبحث دراسي تطبيقي بعنوان:" **مصاعد الترقي الحضاري من خلال هدايات آية قرآنية** " ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴾ [سورة طه: ٤٢]

أروم من خلاله سلوك منهج تحليلي تطبيقي على آية قرآنية طلباً لإبراز أوجه العناية، وكمال الرعاية القرآنية بتفصيل معاقد قيام الحضارة الإسلامية. وسأعمد في تحرير البحث إلى تناول أسس الحضارة القرآنية، عروجا على آية سورة طه المخصصة للدراسة من خلال بيان غنائها بالهدايات القرآنية الحافلة بالمقومات الحضارية، ثم التيمم جهة تفصيل هذه المقومات مع إرفاقها بأثرها في النهضة الحضارية وبناء الإنسان.

وتفصيل مباحث الدراسة كالآتي:

تمهيد: ويشمل أسس الحضارة القرآنية المسهمة في البناء الحضاري.

ثم بيان غناء الآية بالمقومات الحضارية من خلال هداياتها القرآنية من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: المقوم الأول: النشاط والإيجابية وهدم السلبية، والهمة والتضحية وهدم العجز والكسل

المبحث الثاني: المقوم الثاني: البناء الجماعي وهدم الفردية

المبحث الثالث: المقوم الثالث: العلم وهدم الجهل والعشوائية

المبحث الرابع: المقوم الرابع: الربانية والروحانية وهدم المادية

وقبل الشروع في المقصود أشير إلى أن أكثر صعوبة واجهتني كون الدراسة قاصرة على آية قرآنية معدودة الألفاظ قليلة الكلِم، مع سعة الموضوع وغنائه.

نسأل الله تعالى أن يوفق إلى جميل الإمضاء وصالح القصد،

والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: أسس الحضارة القرآنية وعلاقتها بآية سورة طه

المبحث الأول: أسس ودعائم الحضارة القرآني

الحضارة القرآنية تنطلق من مقومات ثابتة، ودعائم راسية، يسوقها منهج قويم، ويضبطها مرتسم حكيم، لا تلوي إلى تغير باعثه تباين الأحوال الإنسانية، ولا تمضي إلى تعديل حامله تعدد الأنظار البشرية.

وقد استمدت أسس الحضارة القرآنية ثباتها من ربانية مصدرها، فنأت عن التضارب والتنافي، وتجردت من التباعد والتجافي، وانتظمت لتأسيس بناء محكم مشيد، وانسجمت لتأصيل فكر حضاري رشيد.

وحديث القرآن الكريم عن أسس الحضارة حديث واسع المنزع، متعدد المورد، تناثر إيراده في كلام الله تعالى على وجه الجمع والتفريق. واتساقا مع مسلك البحث ارتأيت استلال أسس الحضارة القرآنية بالقصر على سورة قرآنية دون تتبع باقي المحال القرآنية؛ تبيانا لاكتناز الآيات القرآنية في النظم الواحد على ما يقوم به الغناء والاستغناء.والمنتخب من آي القرآن الكريم يمض إلى سورة قرآنية صغيرة العدّ قليلة اللفظ: سورة العصر.

سورة العصر سورة جامعة لأسس الحياة البشرية، ناظمة لمقومات البناء الحضاري، بلغت الكمال الرباني في تأسيس دعائم الحياة السعيدة، ولم يحل قصر صغر المباني اللفظية عن بلوغ اتساع المعاني الدلالية، وهذا ما يفسر اهتداء العلماء إلى وصف السورة بأنها جمعت مباني الإسلام.

يقول الشافعي في وصف سورة العصر: "لو ما أنزل اللهُ حُجّة على خَلقه إلا هذه السورة لكَفَتْهُم"[(١)]، وقرر ابن القيم أنها من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره[(٢)]، وذهب الألوسي في تفسيره إلى أنها شملت جميع علوم القرآن[(٣)]، ،

---

(١) تفسير الإمام الشافعي، ص:١٤٦١.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٣).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم (٣٠/ ٢٢٧).

وقريبا منهم ذهب الفراهي حيث قال إنها من أكبر جوامع الكَلِم[١]، وجاء وصفها في تفسير أضواء البيان أنها الجامعة لأصول الرسالة[٢].

إن جماع كلِم أهل العلم في السورة يستعدي إرعاء كمال التفكر والتأمل في السورة، واستصحاب كافة الأدوات المعرفية والعقلية للاهتداء إلى مكتنزات السورة وأسرارها.

إن سورة العصر سورة ناطقة بأسس البناء الحضاري، باعتبار أن الغاية من الإيجاد إقامتان: إقامة العبادة لله تعالى، وإقامة الأرض بحسن عمارتها. وقد زاوجت السورة بين السبيلين وأرفقت الغايتين، فأتت على وجازة لفظها بما تقوم به العبادة وما تنهض به مهمة الاستخلاف.

ويمكن تحديد أسس البناء الحضاري من خلال السورة على النحو الآتي:

١- الوقت: لقد اتحدت كلمة العالمين أن الوقت أساس كل بناء، وأصل كل نهضة وارتقاء، فلا يمكن لأمة أن تسعد برقي ما لم تعن بالوقت استثماراً وتوظيفاً.

لذا صدرت السورة بالقسم بالعصر، الدال على الدهر والزمن، ولئن اختلفت كلمة المفسرين في تحديد المراد باللفظة؛ إلا أنها اتحدث جميعها في دورانها على الوقت، ولم تخرج تفسيراتهم عن معنى الزمن في الجملة، وإقسام الله تعالى بالمخلوق دليل على عظمة المقسم به.

يقول ابن عثيمين: "وقيل: إن العصر هو الزمان. وهذا هو الأصح أقسم الله به لما يقع فيه من اختلاف الأحوال، وتقلبات الأمور، ومداولة الأيام بين الناس وغير ذلك مما هو مشاهد في الحاضر، ومتحدث عنه في الغائب. فالعصر هو الزمان الذي يعيشه الخلق، وتختلف أوقاته شدة ورخاء، وحرباً

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان، ص:٣٨١.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ومعه التتمة، محمد الأمين الشنقيطي (٩/ ٥٠٧).

وسلماً، وصحة ومرضاً، وعملاً صالحاً وعملاً سيئاً إلى غير ذلك مما هو معلوم للجميع"(١).

وقد اهتم القرآن الكريم بمسألة الوقت استغلالا وتوظيفا، وشحذت الآيات في التحذير من فواته وضياعه، وبالغت في الدعوة إلى اغتنامه واستثماره.

وكان المسلك القرآني قائما في تشريعاته وأحكامه ودعوته على حسن إدارة الوقت طلبا لبلوغ الرقي الحضاري والبناء الإنساني من خلال:

تقييد الرسالات بالوقت دالة على أن الرسالة مؤقتة بزمن محدد: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ ﴾ المرسلات: ١١.

تصدير عدد من السور بالقسم بالوقت وحوامله إشارة إلى فضل الوقت وأهميته: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ الضحى: ١ – ٢

جعل شرط صحة عدد من العبادات أداؤها في وقتها المؤقت شرعا، كالصلاة والزكاة والصيام...: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ النساء: ١٠٣

الدعوة إلى المسابقة والمسارعة إلى المغفرة والرضوان، وذلك لا يكون إلا بالإسراع إلى اغتنام الوقت.

إن حسن إدارة الوقت عنوان كل أمة ناجحة رائدة، وتضييع الوقت وسم كل أمة خائبة متنكبة؛ لذا انتظمت آي القرآن لتأسيس منهج علمي متكامل يهدي إلى حسن إدارة الوقت وحسن توظيفه سعياً لكل بناء ورقي.

ومن جميل بيان فضل الوقت ما ذكره الفخر الرازي عند بدء تفسير سورة العصر: "

وثانيها: أن الدهر مشتمل على الأعاجيب لأنه يحصل فيه السراء والضراء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، بل فيه ما هو أعجب من كل عجب، وهو

(١) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣٠٧)

أن العقل لا يقوى على أن يحكم عليه بالعدم، فإنه مجزأ مقسم بالسنة والشهر واليوم والساعة ومحكوم عليه بالزيادة والنقصان والمطابقة، وكونه ماضياً ومستقبلاً، فكيف يكون معدوماً ؟ ولا يمكنه أن يحكم عليه بالوجود لأن الحاضر غير قابل للقسمة والماضي والمستقبل معدومان، فكيف يمكن الحكم عليه بالوجود؟

وثالثها: أن بقية عمر المرء لا قيمة له، فلو ضيعت ألف سنة، ثم تبث في اللمحة الأخيرة من العمر بقيت في الجنة أبد الآباد فعلمت حينئذ أن أشرف الأشياء حياتك في تلك اللمحة، فكأن الدهر والزمان من جملة أصول النعم، فلذلك أقسم به ونبه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها المكلف، وإليه الإشارة بقوله: {وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا} [الفرقان: ٦٢] .

ورابعها: وهو أن قوله تعالى في سورة الأنعام [١٢] : {قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله }إشارة إلى المكان والمكانيات، ثم قال: وله ما سكن في الليل والنهار وهو إشارة إلى الزمان والزمانيات،

وقد بينا هناك أن الزمان أعلم وأشرف من المكان، فلما كان كذلك كان القسم بالعصر قسما بأشرف النصفين من ملك الله وملكوته

وخامسها: أنهم كانوا يضيفون الخسران إلى نوائب الدهر، فكأنه تعالى أقسم على أن الدهر والعصر نعمة حاصلة لا عيب فيها، إنما الخاسر المعيب هو الإنسان،

وسادسها: أنه تعالى ذكر العصر الذي بمضيه ينتقص عمرك، فإذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك النقصان عن الخسران، ولذلك قال: لفي خسر"[1].

---

[1] تفسير الرازي (٣٢/ ٢٧٧).

٢– الخسارة الأخروية خسارة دنيوية: إن تقريرات القرآن الكريم قاضية بأن الفلاح الدنيوي لا يكون إلا بالفلاح الأخروي، ولا يُتبلغ إلى أي نجاح إلا بالنجاح مع الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾ آل عمران: ١٨٥

إن القرآن الكريم تسامى عن المادية المجردة التي تعنى بالإنسان مادة جامدة وكيانا منفصلا عن روحه، وترقت إلى المزاوجة بين حاجته الروحية والجسدية، فلا يستقيم أي بناء حضاري بلغ فيه الإنسان سدّ حاجته المادية وغابت فيه حاجته الروحية.

٣–الإيمان: هو مركب كل تصور صحيح، ورياض كل فكر قويم، فالعقيدة الصحيحة هي أساس بناء كل حضارة، لأنها تنقل الإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن شرود الأنظار إلى انضباط الأفكار، ومن الفانية إلى الغائية.

فكل أمة لها عقيدة وفكر، ولا يمكن أن تنفصل أي حضارة عن فلسفة فكرية تنطلق منها في مسار البناء الحضاري، ولكن تتمايز عقيدة الإسلام عن الفلسفات البشرية بصحة التصور ووضوحه، وثبات مصدريته وحجيته، بخلاف الأنظار البشرية القائمة على نتاج بشري قاصر بقصور ذات منتجيه.

٤–العمل الصالح: أساس كل بناء، وأصل كل ارتقاء، ومن جميل دقة التعبير القرآني أن وصف العمل ب "الصالح"، وهو أوسع معنى وأعمق دلالة من التعبير ب "الصحيح" كما درج عليه الفلاسفة والمنظرون؛ فالعمل الصالح هو الأصلح للإنسان في علاقته مع ربه، والأصلح للإنسان في علاقته مع الإنسان، والأصلح للإنسان في انسجامه مع الكون.

وتقييد السورة النجاة من الخسران بالإقامة على العمل الصالح فيه أبعد دلالة على أن الأمة المتمثلة بالحضارة القرآنية يجب أن تكون أمة عاملة ساعية مثابرة

مجاهدة، تتقصد بعملها صلاح الدنيا والآخرة، وتجافي كل عمل لا يتصل بالإصلاح ولا يرمي إليه.

٥- التواصي بالحق: من دقيق التعبير القرآني الإتيان بصيغة المفاعلة عند الدعوة إلى الوصاية بالحق؛ دلالة على أن التواصي عملية تفاعلية تشاركية، وأداة بنائية منهجية، ترتفع من الفردانية إلى الجماعية، وتسامى عن الوازع الشخصي إلى الباعث الاجتماعي التكاملي.

يقول ابن عاشور في تفسيره: "وأفادت صيغة التواصي بالحق وبالصبر أن يكون شأن حياة المؤمنين قائما على شيوع التآمر بهما ديدنا لهم، وذلك يقتضي اتصاف المؤمنين بإقامة الحق وصبرهم على المكاره في مصالح الإسلام وأمته لما يقتضيه عرف الناس من أن أحدا لا يوصي غيره بملازمة أمر إلا وهو يرى ذلك الأمر خليقا بالملازمة إذ قل أن يقدم أحد على أمر بحق هو لا يفعله أو أمر بصبر وهو ذو جزع، وقد قال الله تعالى توبيخا لبني إسرائيل: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون [البقرة: ٤٤]"(١).

إن الأداة اللفظية المختارة في الآية تفضي إلى أساس متين محكم تقوم عليه الحضارة القرآنية، وهو تأسيس مؤسسات مجتمعية تسهر على ضمان الحقوق واستيفائها، وهذا صلب نجاح أي حضارة، فلا يمكن لحضارة أن تترقى في مصاف التحضر والرقي إلا إذا صانت حقوق أهلها وحافظت على مكتسباتهم.

٦- التواصي بالصبر: زنة المفاعلة في الوصاية بالصبر دليل على أن الصبر قضية مجتمعية تشاركية، وسمة غالبة في الحياة العامة الإنسانية، يقول المراغي في تفسيره:"(وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ) أي وأوصى بعضهم بعضا بالصبر عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية، وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها، وعلى ما يبتلى الله تعالى به عباده من المصائب ويتلقاها بالرضا ظاهرا

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٣٤)

وباطنا، فلا بد للنجاة من الخسران أن يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ويمكّنوه من قلوبهم، ثم يحمل بعضهم بعضا على سلوك طريقه، وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الأوهام والخيالات التي لا قرار للنفوس عليها، ولا دليل يهدى إليها"(١).

إن الوصاية بالصبر تبني مؤسسة الضمير الحي المتوقد للأمة، الذي يدفع إلى كل بر، ويرد عن كل قبيح، ويذكي قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصورة تؤهل إلى بلوغ البناء الحضاري في أبلغ مقاماته.

(١) تفسير المراغي (٣٠/ ٢٣٥)

المبحث الثاني: مقومات الحضارة القرآنية من خلال آية سورة طه

لقد حفلت آي القرآن الكريم بجمل من دعائم ومقومات الرقي الحضاري والبناء الإنساني، وقد شكلت موارد القرآن منهلاً غنياً لاستجلاء هذه المقومات، لكن ارتأى الباحث التعويل أصالة على آية قرآنية واحدة، حوت رغم جزالة لفظها وقلة كلامتها وصغر حجمها أهم المقومات والمرتكزات الأساسية لأي بناء حضاري.

والآية موضوع الدرس هي قوله تعالى:﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ﴾ طه: ٤٢.

نظمت الآية عقدا محكم النظم، متصل الأطراف، مكتنز المباني، بعيد المعاني، تعانقت ألفاظه وانسجمت دلالاته استهداء إلى خمسة مقومات أساسية لتبلّغ الرقي الحضاري:

١- {اذهب}و {ولا تنيا}: دل قوله تعالى {اذهب} على المقوم الأول: النشاط والإيجابية وهدم السلبية، ودل قوله تعالى {ولا تنيا}: على الهمة، والتضحية، وهدم العجز والكسل.

٢- {أنت وأخوك}: المقوم الثاني: البناء الجماعي وهدم الفردية

٣- {بآياتي}: المقوم الثالث: العلم وهدم الجهل والعشوائية

٤-{في ذكري}: المقوم الرابع: الربانية والروحانية وهدم المادية

المبحث الأول: المقوم الأول: الإيجابية والنشاط وهدم السلبية، والهمة والتضحية وهدم العجز والكسل

المطلب الأول: مفهوم الإيجابية:

تدور معاني الإيجابية التفاعل والمبادرة والإسهام والتجاوب والاشتراك والإقدام والنشاط والتفاؤل وتحمل المسؤولية. ومن خلال المعاني السابقة

يمكن تعريف الإيجابية ب: " قوة في النفس باعثها تمكن الإيمان القلب، تحمل على المبادرة والتفاؤل والإسهام في الإصلاح الذاتي والجماعي".

والشخص المتصف بالإيجابية هو الشخص المتحرك الحي المبادر المتفاعل مع محيطه. والسلبية تدور معانيها حول الانزواء والانقباض عن المحيط، والكسل، والعجز والركود.

والسلبي من الناس من انقبض عن الناس وانغلق على نفسه واشتغل بأمره وعجز عن الإسهام في أي إصلاح.

والإيجابية والسلبية من أكثر المصطلحات تداولاً وتناولاً في عصرنا الحاضر، لفتا أنظار الباحثين وتوجهت إليهما عناية المربين والمفكرين، وسعى إلى تأصيل ماهيتهما المنظرون.

المطلب الثاني: عناية القرآن بقيمة الإيجابية:

لقد اشتدت عناية القرآن الكريم بقيمة الإيجابية، وأولتها بالغ الرعاية تأصيلاً وتمثيلاً، وتناولتها في سياقات وأنماط غنية متعددة، حتى صارت الإيجابية مطلباً قرآنياً بارزاً.

ومن أوجه عناية القرآن الكريم بقيمة الإيجابية:

-الإنسان مكلف ذاتياً وفردياً، ولا ترتبط به تكاليف الغير إلا ما كان مطلوبا على وجه الجماعة، والتكليف الذاتي مؤذن بأن الإنسان مسؤول عن سعيه، محاسب على عمله، مرتهن بتكليفه، وهذا يقتضي أن يتجمل المرء بقيمة الإيجابية الحاملة له على السعي والعمل لأنه حياته ومنجاته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ مريم: ٩٥،

قَالَ تَعَالَى:﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ مريم: ٧٢

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ فاطر: ١٨

- التفاعل الإيجابي والتعاون المثمر: من أهم ما تمثل قيمة الإيجابية في القضايا القرآنية الدعوة إلى التآلف الاجتماعي، والتآزر الإيماني، والتعاون الإنساني، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة: ٢

- ومن ذلك توجيه المسلم إلى الفاعلية الإيجابية مع قضايا أمته، وأن يضطلع بقضايا مجتمعه، وأن يبادر إلى الإصلاح والتغيير، قَالَ تَعَالَى:﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ النساء: ١١٤

- البداءة بتغيير النفس وإصلاح الذات: قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ الرعد: ١١

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قَالَ تَعَالَى:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠

- السعي إلى تحصيل الأرزاق وطلب المعاشات: قَالَ تَعَالَى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الجمعة: ١٠

- الإيثار وتقديم الغير على النفس: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ

عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ ﴾ الحشر: ٩

- دعوة القرآن إلى المسابقة والمسارعة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١ ﴾ الحديد: ٢١

- إيراد قصص المصلحين الذين تدثّروا بالإيجابية وسعوا لى الإصلاح والتغيير رغم ضعفهم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ۝٢٨ ﴾ غافر: ٢٨

المطلب الثالث: أهمية الإيجابية في البناء الحضاري:

الإيجابية منطلق بنائي ومسلك منهجي، يحرر المتجمع من ربقة السلبية المقيتة التي تهدم بناءه، وتمحو مكتسباته، وتفتر قواه، وتفت عزائمه، والإيجابية تستلزم البدار إلى كل جميل، والسعي إلى كل فضيل، والإسراع إلى برّ، والترقي إلى كل خير. الإيجابية إن غلبت المجتمع فكراً ومذهباً، وطبعت أفراده خلقاً ومسلكا تهيأ المجتمع إلى الترقي الحضاري بمختلف مجلاته وأنماطه؛ لأن الإيجابية:

- تدفع الفرد إلى المبادرات الإصلاحية ولو لم يكن مكلفا، ولنا في مبادرة الهدهد أرقى مثال، فقد كانت لمبادرته – بعد فضل الله تعالى - السبب في إسلام أمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ۝٢٢ ﴾ النمل: ٢٢.

- وتصون الجماعة وتحفظ الصف وتنذر الأمة كل خطر داهم: ومنه تحذير النملة قومها فحفظت جماعتها وصانت أمتها،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٨ ﴾ النمل: ١٨.

-مدعاة إلى العمل، ومرقاة إلى السعي: وقد أحسن القرآن تصوير من تجمّل بالإيجابية فدعته إلى العدل والاهتداء والعمل، ومن غلبته السلبية فصار كلا عاجزا لا يلوي على خير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ ﴾ النحل: ٧٦

- سبيل إلى التضحية والبذل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ الصافات: ١٠٢

المبحث الثاني: المقوم الثاني: البناء الجماعي وهدم الفردية

المطلب الأول: مفهوم البناء الجماعي:

البناء الجماعي يقصد به العمل الجماعي الذي تكون أداته الجماعة وغايته تحقيق المصلحة الجامعة، وقد عرفه ابن خلدون بقوله: "تعاون الإنسان مع أبناء جنسه، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة أكثر مما يفعله الفرد بأضعاف"(١).

ويمكن القول أن: العمل الجماعي هو تشارك الأفراد وتآلفهم من أجل تحقيق غاية موحدة وهدف جامع.

المطلب الثاني: عناية القرآن الكريم بقيمة البناء الجماعي

لقد عني القرآن كثيراً بقيمة العمل الجماعي، وأولاه كبير الرعاية وواسع العناية، وتفننت آيه في الحديث عنه وتقرير مفصليته في نجاح الأمة وتحقيق الغاية من الإيجاد. ويمكن تقريب التناول القرآني لقيمة العمل الجماعي وتبريز تجلياته ومظاهره من خلال الآتي:

- الأمر القرآني بالاعتصام والوحدة: لقد حث القرآن على الاعتصام والاتحاد باعتباره أساس قيام الأمة وجوهر قوتها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ ﴾ آل عمران: ١٠٣

- الدعوة إلى التعاون والتكاتف والتآزر: التعاون يعزز العمل الجماعي ويؤهله إلى بلوغ ثمرته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ المائدة: ٢

- تضمين الخطاب الشرعي التكليف الجماعي، الذي لا يتأتى تنزيله إلا بوحدة الجماعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ

(١) مقدمة ابن خلدون، ص: ١٣٧.

ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ التوبة: ١٢٣

- العمل الجماعي سند لدعوة المرسلين: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ طه: ٢٩ – ٣٥، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ الفتح: ٢٩

- الإرشاد إلى مبدأ الشورى في تثبيت أمر الجماعة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الشورى: ٣٨

- التذكير بوحدة الأصل في الدين: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾ البقرة: ٢١٣

المطلب الثالث: أثر البناء الجماعي في الرقي الحضاري

البناء الجماعي القائم على اتحاد الفكرة ووحدة الغاية وتآلف الصف هو السبيل الأوثق لبلوغ الرقي الحضاري، ولا يمكن لأمة أن تعرف رقيا ولا ازدهارا إن كان حال أهلها التفرقة والاختلاف، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال: ٤٦.

إن البناء الجماعي تربية قرآنية وتنشئة نبوية تعين الإنسان على تحقيق العبودية المطلقة، وأداء مهمة الاستخلاف وعمارة الأرض، والعمل الجامعي المنضبط هو الكفيل بتصعيد الإنسان إلى مصاف الرقي الحضاري.

ويمكن إبراز أهمية العمل الجماعي في بلوغ الرقي الحضاري عبر استلال معالم هادية في دور الجماعة في تحقيق المطالب المجتمعية من خلال قصة ذي القرنين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ الكهف: ٩٣ – ٩٧

- دفع الاتكال والدعوة
- دفع الاتكال والدعوة إلى المشاركة العينية
- العمل والنشاط وعدم قبول العجز والكسل
- إدارة العمل الجماعي وتوجيه الأفراد
- تضافر الجهود وتظاهر الكفايات وتوحيد القدرات
- التوكل على الله تعالى وعدم الاتكاء القلبي على عمل الجماعة

المبحث الثالث: المقوم الثالث: العلم وهدم الجهل والعشوائية

المطلب الأول: مفهوم العلم

لفظ العلم من أكثر الألفاظ التي عني أهل العلم بالاشتغال بها تناولاً ودراسة، والكشف عن دلالاتها اللغوية تشقيقا واشتقاقا، وجمع معانيها القرآنية سياقاً واتساقاً، وحظيت أكثر من غيرها بمزيد عنايتهم وكريم رعايتهم.

وقصر البحث لا ينهض للقيام بتتبع معاني العلم في الاستعمال اللغوي والاصطلاحي؛ لذا أقول إن تعريف العلم لا يخرج في مختلف تعاريفه عن "إدراك الشيء على حقيقته".

وعرفه الجرجاني بأنه: "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"(١).

المطلب الثاني: عناية القرآن بقيمة العلم:

إن حديث القرآن عن العلم حديث مترامي الأطراف واسع الأركان، تصاريفه متعددة واشتقاقاته متنوعة، أساليبه متفننة وصيغه محكمة، أغراضه متقاربة ودلالاته متعاضدة.

ورغم اتساع دلالات ومعاني العلم في المستعمل القرآني إلا أن جوهر هذه العاني ومعقدها هو تقرير مفهوم العلم بمعنى الإسلام، والجهل بمعنى الكفر، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ آل عمران: ١٩، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤ ﴾ الزمر: ٦٤.

ولقد عني القرآن الكريم بالعلم ونوع دلالات استعماله، **ويمكن الوقف على بعضها من خلال الآتي:**

- العلم نعمة من الله وفضل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ آل عمران: ١٦٤،

(١) التعريفات للجرجاني، ص: ٢٠٠.

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ الكهف: ٦٥.

- قرن شهادة الحق والملائكة بشهادة العلماء: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨

- حصر جميل الصفات في أهل العلم: فهم أخشى الناس قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ فاطر: ٢٨، ولا يسوون بغيرهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الزمر: ٩،

وهم أزكى الناس محلاً وقدراً قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١، وهم أعقل الناس لمراد الله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣

- أهل العلم إليهم المرجع في حل المشكلات وبيان المعضلات: قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣.

- الأمر الإلهي بالاستزادة من العلم ولم يؤمر بالاستزادة من غيره: قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإسراء: ٢٤

المطلب الثالث: أهمية قيمة العلم في الرقي الحضاري:

إن العلم مفتاح خزائن الرقي الحضاري، وبابته الذي لا يولج إليه من غيرها، ولا تنعقد أطرافه من غير وثاقه، ولا تنتظم مبانيه من غير وصاله.

العلم مخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومركبهم من الجهل إلى الرشد، ومطيتهم من الغواية إلى الهداية، ومرتقاهم من التخلف إلى الرقي.

إن الناس أحوج إلى العلم من أي شيء، ولم يكن للإنسان قيام ولا نهضة إلا بمعية العلم، ولم تبزغ شمس الحضارات إلا يوم صار الإنسان أقدر على اكتساب العلوم والمعارف. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ الإسراء: ٢٤. لكن الإشكال الفكري البارز والزيغ المنهجي اللائح في أنظار كثير من الناس قصرهم العلم على العلوم التجريبية التي تقيم العمران وتوفر حاجيات الإنسان، وليس هذا هو العلم أصالة ولا تبعا؛ فالعلم في الاعتبار القرآني هو العلم بالله تعالى والتعرف عليه، وإدراك أحكامه وتشريعاته، وبلوغ سننه في كونه ومخلوقاته، فمن جمع حظا من العلوم التجريبية وعزبت عنه معرفة الله تعالى فلم يخرج من دائرة الجهل، وأنى له بناء حضارة راقية، إذ لن يتجاوز في قصاراه بناء العمران.

إن تطلب البحث في العلوم الطبيعية نشأ مع ظهور الإنسان، ودعت إليه الشريعة مع أول تنزلها، لكن الناس صغوا عن الغاية ونبوا عن العلة، وراموا ببحثهم معارف علمية جوفاء خاوية التي لا تبلغ بالإنسان معرفة موجده وعلة إيجاده.

العلوم الطبيعية الكونية هادية إلى معرفة الخالق وكمال عظمته من خلال معرفة المخلوق وكمال صنعته، ومفضية إلى تسخير مخرجات العلوم في تسخير موارد الكون في خدمة الرقي الإنساني وفق التوجهات الشرعية.

المبحث الرابع: المقوم الخامس: الربانية والروحانية وهدم المادية

المطلب الأول: مفهوم الربانية:

الربانية اختلف في اشتقاقها وأصلها على أقوال، فقيل مشتقة منن "الرب" وهو الله تعالى، وقيل من "ربى" بمعنى التربية، وقيل إنها من "الولاية"، وقيل إن أصلها غير عربي.

ومسلك البحث لا يسعف الإبحار في معانيها وتحرير أصلها، ولكن يشار إلى أن أعدل الأقوال فيها الأول والثاني؛ وعليه فالربانية هي السمة والصبغة التي رضي الله للناس، ويمكن تدقيق تعريفها من خلال تفصيل نوعيها.

الربانية تنقسم إلى نوعين أساسين:

- **ربانية المصدر والمنهج:** ويقصد بها أن الشريعة ربانية المصدر فهي من عند الله وحده، وربانية المنهج: فالطريق الموصل إليه رباني مقرر من عند الله تعالى من خلال اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم.

- **ربانية الغاية والمقصد:** ويراد بها أن الإسلام يجعل غاية الإنسان التعبد إلى الله تعالى وحده، وإرادة وجهه وتطلب مراضيه.

المطلب الثاني: عناية القرآن بقيمة الربانية:

لقد تناول القرآن مصطلح الربانية في ثلاثة مواطن:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣ ﴾ المائدة: ٦٣

ويمكن إلحاق موطن رابع بتبعية المعنى لأصالة اللفظ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾ آل عمران: ١٤٦

وفي الاستعمالات القرآنية الأربعة جاء الاستعمال منسوباً إلى العاملين بالربانية، وهم الذين رضوا بالله ربا مشرّعا، وربوا أنفسهم تربية قرآنية نبوية، وتوجهوا إلى الله بصالح العمل وجميل القصد، وأقاموا على إصلاح الناس وفق شرع الله ونهجه.

قال الطبري في تفسيره: "و"الربّاني" هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفتُ، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يَرُبّ أمورَ الناس، بتعليمه إياهم الخيرَ، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيمُ التقيُّ لله، والوالي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وَليه المقسطون من المصْلحين أمورَ الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم، وعائدةُ النفع عليهم في دينهم، ودنياهم كانوا جميعًا يستحقون أن يكونوا ممن دَخل في قوله عز وجل:"ولكن كونوا ربانيين"[١].

وقال ابن عطية: "فجملة ما يقال في الرباني إنه العالم بالرب والشرع المصيب في التقدير من الأقوال والأفعال التي يحاولها في الناس"[٢].

المطلب الثالث: أثر الربانية في الرقي الحضاري

إن الربانية أصل الرقي الحضاري، وأساس منطلقه، ومبتدأ أمره ومنتهاه؛ ذلك أن الربانية تسوق الإنسان إلى ربه في مسعاه ومترجاه، وتوجهه في منزعه

---

[١] تفسير الطبري (٦/ ٥٤٤).

[٢] تفسير ابن عطية (١/ ٤٦٢).

ومسلكه، وإذا عدم الإنسان مصدرا يأوي إليه، ومنهجا يضبط مترسمه، وغاية خالدة يهفو إليها..خاب سعيه وبار كسبه وأظلم قصده.

ولقد وردت في الآيات الحاملة للفظة الربانية في القرآن الكريم مع غيرها من الآيات مقوماتٍ هادية للرقي الحضاري ومؤسسة **لجملة من ركائزه وعمده:**

- **الربانيون أهل الاستمساك بشرع الله تعالى:** ولا يمكن لحضارة أن تقون وراية التوحيد فيها خافتة، وغاية التقليد والعمى فيه منصوبة، وشرع الله تعالى منزو تزاحمه القوانين الوضعية والأنظار البشرية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾ المائدة: ٤٤

- **من صفات الربانية بذل العلم ومدارسته:** إن المقوم الأساس – بعد عمارة الأرض بالتوحيد – لبلوغ الرقي الحضاري العناية بالعلوم وعُظم الاشتغال بها، وبثها بين الأفراد ومدارستها، وإيلاؤها السبق في الخطط والبرامج التنموية.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾ آل عمران: ٧٩

- **حفظ الشريعة:** وذلك بتنزيل أركان الدين وتثبيته في الحياة اليومية؛ فالدين هو الذي يضمن ارتقاء الشعب وغناءه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ المائدة: ٤٤

- **من صفات الربانيين فقه الواقع وإدراك أحواله ومتغيراته:** وهذا عماد أي إصلاح حضاري، فلا يمكن الترقي بالمجتمع ما لم تدرك خصائصه وأحواله على وجه صحيح دقيق، وأهل العلم الربانيون هم أفقه الناس بالواقع وألصقهم به، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣ ﴾ المائدة: ٦٢ - ٦٣

- **الحكم بما أنزل الله تعالى** من صفات الربانيين: والرقي الحضاري يقتضي العدل بين الناس، وحسن سياستهم، وتدبير شؤونهم بالحكمة والإنصاف، والقضاء بينهم بالحق، ولا يكون القضاء ولا سوس الناس عادلا إلا بتحكيم شرع الله تعالى والتحاكم إليه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾ المائدة: ٤٤.

- **من الصفات المتمكنة في الربانيين التضحية:** فالربانيون أهل اقتداء واتساء، لذا من أشرف خصالهم التضحية والبذل تطويعا للعامة على ترسم خطاهم والتمجل بشيمهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾ آل عمران: ١٤٦

خاتمة

بعد تناول المادة بالبحث والدراسة، وطرف من العرض والتحليل، وشيء من المناقشة والتدليل، برزت عدد من النتائج والمخرجات، يمكن إجمالها في الآتي:

١. الحضارة القرآنية تنطلق من مقومات ثابتة، ودعائم راسية، يسوقها منهج قويم، ويضبطها مرتسم حكيم.

٢. استمدت أسس الحضارة القرآنية ثباتها من ربانية مصدرها، فنأت عن التضارب والتنافي، وتجردت من التباعد والتجافي، وانتظمت لتأسيس بناء محكم مشيد، وانسجمت لتأصيل فكر حضاري رشيد.

٣. سورة العصر سورة جامعة لأسس الحياة البشرية، ناظمة لمقومات البناء الحضاري، بلغت الكمال الرباني في تأسيس دعائم الحياة السعيدة.

٤. أسس البناء الحضاري من خلال سورة العصر:

١-إدارة الوقت واستثماره

٢-الخسارة الأخروية خسارة دنيوية

٣-الإيمان

٤-العمل الصالح

٥-تأسيس مؤسسات ترعى الحقوق

٦-إيقاظ مؤسسة الضمير الحي.

- حفلت آية سورة طه: ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ﴾ طه: ٤٢ **بأربعة مقومات للرقي الحضاري:**

١-{اذهب}و {ولا تنيا}: دل قوله تعالى {اذهب} على المقوم الأول: النشاط والإيجابية وهدم السلبية، ودل قوله تعالى {ولا تنيا}:
على الهمة والتضحية وهدم العجز والكسل.

٢- {أنت وأخوك}: المقوم الثاني: البناء الجماعي وهدم الفردية

٣- {بآياتي}: المقوم الثالث: العلم وهدم الجهل والعشوائية

٤- {في ذكري}: المقوم الرابع: الربانية والروحانية وهدم المادية.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، براية حفص، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، الإصدار الثاني.

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ومعه التتمة، محمد الأمين الشنقيطي، محمد عدنان سالم، المؤسسة السعودية، (مطبعة المدني)، ط٢، ١٩٨٠م، (٩/ ٥٠٧).

٢. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، حمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر — تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٣. تفسير الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد مصطفى الفران، الدار التدمرية، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٤٦١.

٤. تفسير جزء عم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٥. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، (٨/ ٤٧٩).

٦. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

٧. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان، عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية، الهند، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٨١.

٨. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٩. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، محمود شكري الآلوسي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣٠/ ٢٢٧).

١٠. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.
١١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
١٢. مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عطاءات العلم، الرياض- دار ابن حزم، بيروت، (١/ ١٥٣).
١٣. مقدمة ابن خلدون، دار يعرب، دمشق ٢٠٠٤.
١٤. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

فهرس الموضوعات

مقدمة: ٣
تمهيد: ٣
المبحث الأول: أسس ودعائم الحضارة القرآنية: ٣
المبحث الثاني: مقومات الحضارة القرآنية من خلال أية سورة طه: ١٢
المبحث الأول: المقوم الأول: الإيجابية والنشاط وهدم السلبية، والهمة والتضحية وهدم العجز والكسل: ١٣
المطلب الأول: مفهوم الإيجابية: ١٣
المطلب الثاني: عناية القرآن بقيمة الإيجابية: ١٣
المطلب الثالث: أهمية الإيجابية في البناء الحضاري: ١٥
المبحث الثاني: المقوم الثاني: البناء الجماعي وهدم الفردية: ١٧
المطلب الأول: مفهوم البناء الجماعي: ١٧
المطلب الثاني: عناية القرآن الكريم بقيمة البناء الجماعي: ١٧
المطلب الثالث: أثر البناء الجماعي في الرقي الحضاري: ١٨
المبحث الثالث: المقوم الثالث: العلم وهدم الجهل والعشوائية: ٢٠
المطلب الأول: مفهوم العلم: ٢٠
المطلب الثاني: عناية القرآن بقيمة العلم: ٢٠
المطلب الثالث: أهمية قيمة العلم في الرقي الحضاري: ٢١
المبحث الرابع: المقوم الخامس: الربانية والروحانية وهدم المادية: ٢٣
المطلب الأول: مفهوم الربانية: ٢٣
المطلب الثاني: عناية القرآن بقيمة الربانية: ٢٣
المطلب الثالث: أثر الربانية في الرقي الحضاري: ٢٤
خاتمة: ٢٧
لائحة المصادر والمراجع: ٢٩
فهرس الموضوعات: ٣١